الشاعر الجديد

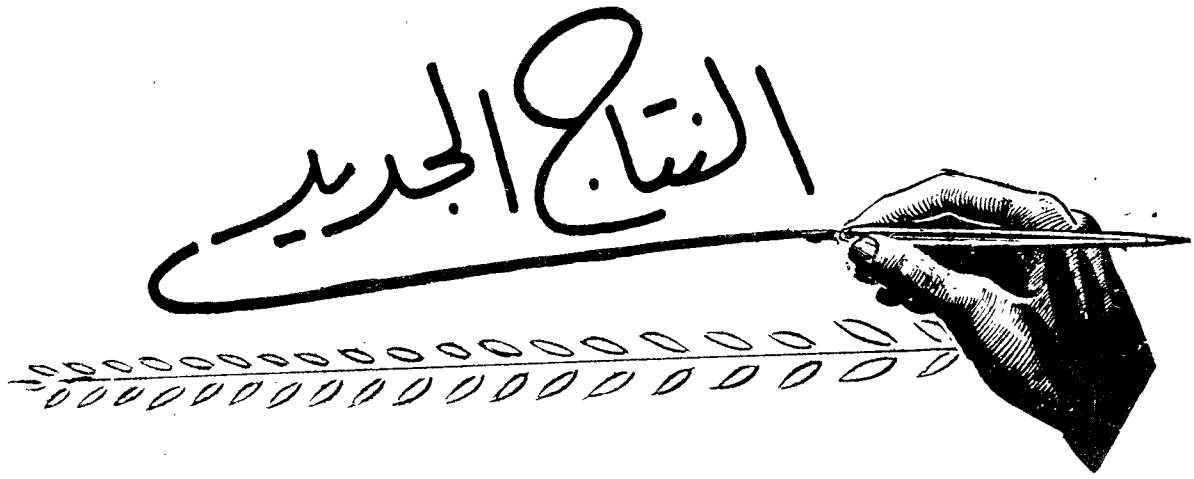

نجوى

ديوان شعر للاستاذ عدنان مردم

دار المعارف بمصر ـ ١٥٥ صفحة

*

لم تسبق هذا الديـــوان ضجة من اجله في صحيفة او ندوة ، ولا مطارحة حول موضوعه وشكله ، وانما اتخذ سبيله في رفق وهدوء الى القراء مطويا بين دفتيه وتحت عنوانه ، فجاء بمظهره ومضمونه دليلا على ان الشعر العمودي الموهوب ما يزال بخير وعافية ، ماضيا على طريقتـــه مرتقبا تجديدا أعم ومسايرة للزمن والواقع ، على الرغم من تيار الاعصار الذي هب في وجه الشعر الحديث فأفقده وزنه وجعله مترنحا حيران ،لا يدري في هبة التيار اين المصير .

غير ان الحركة الادبية التي مرت بها الرياح الاربع في زماننا وكل ريح تتقاذفها نحوها لا يستطيع ادبنا الجديد بسببها ان يستقر وأن يتخـــذ وجهة محددة ، ولا ان يتعرف الى ملامحه ومزاياه ولو ان هذا الادب تمثل شخصا ووقف امام المرآة لرأى ثوبه وذاته في الوان شتى وطراز غيـــر مؤتلف ولا متسق ، فاين يكون شعرنا الجديد من شعرنا القديم ، ومـــاذا طرأ عليه من التطور والتحول الذي اختلفت فيه الآراء والاهواء ؟

من البديهي ان ادبنا لا يستطيع ان يجد الاستقرار في مجتمع غيـــر مستقر ، فمثلما يكون مجتمعنا يكون ادبنا وفيه شعرنا الذي تتجاذبه اشتات الثقافات والمذاهب الفكرية والسياسية ولا يتجافى عن المحاكـاة والتكرار ، فهذه البلبلة اذن تدعونا لالتماس المعذرة حين نحس قلق الشعر واضطرابه كما يدعونا للبشاشة والامل ما نرى بين حين وحين من شعـــر لم يتنكر لاصله وما اخذ بالحديث على علاته وغلوه في التقليد والانطلاق.

من هذا الشعر العمودي الجزل ديوان « نجوى » للشاعر عدنان مردم بك الذي قيد خواطره وانتفاضات احساسه وقريحته في ابيات ومقطوعات منوعة الالوان والالحان ، كان اروعها ما اهتاج في نفس الشاعر وما طـوف بباله وخياله من الصور اللماحة التي لم تلبث ان استحالت رؤاها الطبيعية الى شعر مردمي اصيل ، وقد عنيت بالمردمي في شعرنا المعاصر ما ابدع فيه ابو الشاعر الاستاذ خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي فـي دمشق ، فان دقة الوصف وروعة التصوير في شعر عدنان امتداد لنبوغ أبيه في هذا الفن الذي كان الطابع الاول لشعره المعهود .

والشواهد كثيرة في الديوان ، على ان الوصف الدقيق هو عمود الشعر لديه ، فما اجمل تصويره لحلقات الرقص ، وفيها تهادت الغواني تـارة تهادي الاطياف بالمقل ، وتارة كانت تتلوى كلما عصفت اشواقها بنـــار كالافاعي .

وكان الشاعر عدنان مستجيبا لحس الطبيعة عميق الشعور بحياتهـا وتقلباتها ، فصور بشعره كثيرا من مجاليها ، فهو اذا رأى العاصفة صورها في هبوبها وتزعزع الغصون وتشريد الطير عنها وسقوط الاوراق ، وقـد كان موضوع العاصفة في الفن الغربي مثارا لاشواق كثير من الشعـــراء والموسيقيين ، وهذا ما استهوى الشاعر عدنان ، فقد اجاد في تصويـــر الطبيعة تعبيرا وحسا وخيالا ، وفي ديوانه تصاوير كأنها الـواح فنية مواجة بالظلال والالوان للشتاء والبحر والنار المتاججة ومشرق الصبـاح وانسدال المساء ، وحين انعقدت سحابة وطفاء في السماء شاق الشاعـر المردمي تصويرها فالهمته قصيدة رائعة ، اما السراب الذي تصوره في خياله فقد جاء في شعره ظما الفن الى انهار الحياة .

وفي « نجوى » عواطف وطنية وهواجس انسانية تربط المرء بارضـه ومائه وهوائه واهله . فمقطوعة « دمشق » وقصيدة « امي » واهـــداء الديوان الى اخي الشاعر الذي لفه الموت فغيبه في ربيعه العشريـــن ، والوقفة على ضريح البطل في ثورة « ميسلون » والجولة الطويلة فـي رواق الجامع الاموي وتسريح النظر في نقوشه ومآذنه ، كل هذا تحنان خالص ومواجد شعرية سكبها صاحب « نجوى » في الفاظـــه ومعانيه ، فجاءت شفافة الاداء طافحة بالصور واللمحات .

وقد لا يروق هذا الشعر الذي نسجه صاحبه كما نسج العـــرب قصائدهم حتى شوقي ومطران وامين نخله وأبي ريشة ، كثيرا من المتعلمين الذين يحسبون ان الشعر الموبة ناشىء تعلم العروض او تسلية مراهـق في تنضيد الحروف ورصف الكلمات في مسلوب من القريحة والموسيقى والروح الشعرية التي تتابى على كل من لم تخلق فيه ، فلا ترضى بـأن ينسكب جمالها هدرا ولغوا ، فالشعر الذي يشوق المتخففين اليوم من كل قيد او صعوبة في الفن والثقافة هو ما سال عفو المداد لا عفو الخاطر حتى اجترأ على مثل هذا النظم كل من استهواه الظهور على الـورق ، مستعينا بالالقاء المسرحي والحركات التمثيلية اذا حدثته نفسه بالانشـاد والترداد .على ان اكثر ما نقرأ من النظم اليومي شبيه بالازاهير الصناعية من الشمع والورق ، لا يعطيها الحياة ما توضع فيه من الآنية المزخرفة .

اما الشاعر المطبوع عدنان مردم الذي نشر نجواه على الطريقة التقليدية فانه لم يتجاف عن التجديد في صوره ومعانيه ، لكن هذا التجديد يبـدو فاترا وضئيلا اذا قيس بما ينشر اليوم من آثار الشعراء المجددين ، وكان

بطاقة الشاعر ان يرضي الفن الذي يريد للشعر الحديث انسكابا موسيقيا وتجاوبا عميقا مع الحياة التي تترادف كل يوم بأشتات الرأي والصور والمفاهيم الجمالية الجديدة .

لقد اعطانا الشاعر صاحب « نجوى » قصائده بيسر وسهولة حتى‌هون علينا لذة التفكير ، وكاد يضيع جمال الاداء والصورة ، والشعر اذا لم يحملنا على الشوق والتامل ويرمينا في انسراح الخيال والابداع هو شعر يؤثر العافية ، ونحن نؤثر المشقة في سبيل الفن .

دمشق — وداد سكاكيني

نحن .. والوجودية

تأليف محمد لبيب البوهي

*

الامة العربية في تجربتها الثورية الراهنة ، وفي عودتها الى تاريخها وذاتها وابداعها ، وفي استفادتها من حضارات امم العالم ... بامس‌الحاجة الى (التطعم) بافكار الامم الاخرى ، والى التفهم للفكر العالمي الحديث، والتفاعل مع تجربة العصر القلق التي تقاسيها امم الارض كافة !

وعندما يأتي بعض الكتاب في احيان كثيرة ، وفي زحمة ما تخرجه دور النشر العربية في هذه الفترة ... فيدعون الى الانعزال والتقوقع والقرف من كل ما هو « غربي » ، ومن كل ما يمت لامم الغرب كافة بصلة نسب ...انما ينفعل هؤلاء انفعالا سلبيا زائفا بالنكبات التي سببها الاستعمار الغربي للامة العربية ، وبالتاريخ الاسود المشؤوم الذي سجله تعامل الغرب مع الشرق ... وانما يسير هؤلاء مع وهم تقسيم العالم الى شرق وغرب ، وفكرة ان الشرق شرق وان الغرب غرب وانهما لن يتلاقيا ابدا !

ان هذا الانفعال السلبي ، او هذا(الانكماش) والتراجع الذي هو بمثابة دفاع عن النفس وصيانة لها وخوف عليها ... اقول ان هذا الانفعال السلبي ، رغم انه انفعال طبيعي وعادي في اصله وفي بدايته ، الا انه ليس بالموقف الحر الخلاق ، ولا يمكن ان يكون استجابة ايجابية . انهذا الموقف انما يجاري ضعف الشرق السابق ، وضعف امتنا (السابق‌ايضا).. فتكون الاستجابة بقدر الامكانيات وبقدر الاسلحة وبقدر المناعة . هذه سنة الامور ، فلا يستطيع اي كائن في اول الامر ، وعند مداهمة الخطر له، الا ان يتراجع ويتحصن ضد الخطر ، ولا يستطيع الا ان يتخذ الموقف الذي يتلاءم مع امكانياته واستعداده لمجابهة الخطر .

ولكن هذا الموقف ـ بالنتيجة ـ لا يكون موقف الحر المبدع ، ولا موقف المستجيب الفاعل المنفتح على الفكر وعلى العالم وعلى التاريخ ، والمتلقي لكل تراث البشر مع الحفاظ على اصالته ونبعه ، وعلى‌شخصيته‌وقوميته ، رغم صهره للتراث البشري في بوتقته والتفاعل معه وتمثله وخلقه من جديد : خلقا عربيا اصيلا . ولا يكون هذا الموقف ايضا ، موقفا لائقا بالامة العربية في فجرها النور الجديد ، فجر الظفر وبور سعيد ... لانه موقف الوهن والضعف والانهزام ! ذلك ان الامة العربية مستعدة الان ـ اكثر من اي وقت مضى ـ لتلقي كل تراث البشر وهضمه وتمثله دون ان تفقد شخصيتها القومية العربية ، وانما لتتخذ من الفكر الحديث ومن تجارب الامم حافزا لها في ثورتها الانقلابية الخلاقة التي تطبع المرحلة الانسانية لا تاريخها الخاص فحسب !

الامة العربية في امس الحاجة التي شعر بها الفديس غاندي لامته الهندية عندما قال اننا يجب ان نفتح كل النوافذ وفي كل الاتجاهات دون ان يستطيع اي اتجاه ان يقتلعنا من جذورنا او ان يفقدنا شخصيتنا.

*

ان على السياسة العربية التحررية ، واجبا اهم في اساسيته واولويته من السياسة الخارجية ... والامر كذلك لانه لا تستقيم اية سياسة خارجية تحررية الا انبثاقا وانطلاقا من وضع داخلي تحرري ، لا تستقيم وتثمر وتنمو سياسة خارجية تحررية الا بضمان من الداخل والا بمناعة في الداخل . السياسة العربية الداخلية اذا ارادت ان تكون متحررة من عصور الانحطاط العربية ومن فقدان الشخصية العربية الخلاقة ،واذا ارادت ان تكون محررة للشعب العربي الذي رزح قرونا متطاولة تحت وطاة اعمدة الهدم من جهل ومرض وفقر وجدب في الابداع ـ ان علىهذه السياسة ان تفسح الطريق والمجال للافكار المختلفة ، ولتيارات الفكر الحديث المعاصر ، كي يستطيع الشعب ان يبني تجربته وهو منفتح على العالم ، بقوة تعادل قوة امم العصر وافكار العصر .. والا استمرت حالة التخلف والانعزال . هذه الافكار المختلفة لا بأس ان تتصارع وتتصادم ولا باس ان تنقد وتهاجم بعضها البعض ، على شرط واحد لا مفر منه لتوفر الايجابية والاخلاص : وهو توفر جو النقد السليم الواعي المرتكز على الاسلوب العلمي ، وعلى المعرفة الاكيدة ... لا على تصورات وأوهام واساليب جاهلة ، قاست الامة منها في السابق ولا يجوز ابدا ان يستمر وضعها على ما كان عليه .

*

من الافكار الغربية التي نقلت بعض آثارها الادبية الى المكتبة العربية حديثا ، والتي كان سماع المواطن العربي عنها حديثا ايضا : الافكار الوجودية . والفكر الوجودي المعاصر ، كما انتشر في بيئته الفرنسية والالمانية وغيرها ، وجد بعض الصدى في انحاء مختلفة . وككل دعوة حديثة او بدعة جديدة كثر قول القائلين وكلام الذامين والمخوفين من اضرارها في الشباب العربي وتاثيرها عليهم . ولا شك ان اية دعوة في بداية وصولها الى اي شعب من الشعوب ، تجد من الزيف وسوء الفهم والتقدير ما يتناسب مع حداثة معرفتها وجدة السماع بها . ونحن نعرف ان الدعوة الوجودية كثيرا ما ثرثرت عنها الصحافة العربية السيارة ، خاصة المصورة منها ... وكانها مجرد دعوة الى الانحلال والابتذال والى التفتيش عن كل ما هو غريب وعجيب .. واعتقد ان هذا النوع من الفهم للفكر الغربي الحديث غير مشرف اطلاقا للامة العربية وللمواطن العربي في فجر البعث العربي الجديد .

فنحن لا يجوز ان نبدي هذا الخوف من الفكر الغربي ، وهذا التشويه له في نفس الوقت ، بدلا من ان نكون ايجابيين فعالين فنعمل ـ قبل تكوين وجهة نظر لنا ـ على ترجمة كافة الاثار الوجودية الى لغتنا العظيمة، وننمي في نفس المواطن العربي حب معرفتها ودراستها ، معرفة واضحة ودراسة جدية كافية لان يستطيع المواطن ان يكون نظرة حقيقية صادقة عنها .

وطبعا ليست الفلسفة الوجودية ـ واعطيها اسم (الفلسفة) رغم كل ما تثرثره الصحف وما يثرثره الادعياء ـ ... مجرد صور عارية منحلة ، ومجرد تصرفات شاذة مبتذلة . نحن لا نستطيع ان نتجاهل ان الفلسفة الوجودية بناء كامل شامخ يقف بنفس المستوى ـ على الاقل ـ من التعمق الفكري والبناء الفلسفي ، وفي منطلقاته ومقولاته .. مع الفلسفات التاريخية الاخرى ... وانها كموقف انساني من الله والكون والانسان والموت تبدأ من مسلمات ومعطيات معينة وتبنى عليها محافظة على انسجامها .. انها وحالتها هذه جديرة بالاهتمام كل الاهتمام . ولا نستطيع ان نتجاهل ايضا انها تقف فلسفة امام فلسفة وفكرا امام فكر مع الفلسفات والافكار الاخرى التي تطبع العصر الحديث المتأزم بالقلق والخوف والتوقع .

*

ليس في خاطر هذا الحديث ان يتعرض بالتفصيل والبحث للفكر الوجودي ، ولما يقوله هذا الوجودي او ذاك ، او ما يشرحه هذا الاتجاه الوجودي او ذاك .. لانه موجه كرد على الذين كتبوا ويكتبون في الوجودية لمجرد تحذير الناس منها لانها بدعة غربية ـ ويفهمونها على الوجه السطحي الذي تثرثر به الصحافة ـ ... ولانها لا تؤدي الا الى انحراف الشباب واستهتارهم بالفضائل والتقاليد والعرف العام المحافظ .. ولان هذا الحديث موجه بصورة خاصة « للاستاذ » محمد لبيب البوهي الذي اصدر كتيبا بعنوان « نحن والوجودية » ، وطرز عليه انه نال جائزة الادارة العامة للثقافة في وزارة المعارف المصرية . لا نستطيع ان ندخل في بحث تفصيلي عن الوجودية وعن اصحابها ، لان الكتاب تسوده روح واحدة هي روح الانفعال السلبي والصاق كافة التهم المتعارف عليها بين الناس والشتائم القاموسية في الوجودية وانصار الوجودية .. ولان كل قول لاي وجودي يستدعي التعليق عليه عند المؤلف بانه ضد الدين والمقدسات والعقل والمنطق والمجتمع وكل ما تعارف البشر عليه . وليس غريبا ان تكون الدراسة بهذا المستوى ما دامت مصادر البحث ـ كما وردت في الكتاب ـ مجرد ترجمات بسيطة وآراء مبتسرة . ورغم انك يا اخي القاريء اثناء مرورك على صفحات الكتاب ، لا تستطيع الا ان تتصور ان على رأس المؤلف عمامة ضخمة .. الا انك تجد ان اكثر ما يهتم به المؤلف هو ايراد آراء (هنري لوفافر) في الوجودية ، او آراء (جان كانابا) فيها في كتابه (الوجودية ليست فلسفة انسانية) ... فالمؤلف يتبنى ـ دون وعي ودون انتباه ـ آراء ماركسية في الوجودية ، وانا متأكد انه يستعمل نفس سباب وشتائم (جان كانابا) في كتابه السابق الذي كتب ليكون فلسفة امام فلسفة فكان مجموعة قاموسية من الشتائم ..

ونحن لا شك بحاجة لشواهد الكتاب لاظهار الحقيقة فيما زعمناه . ومن السهل تصور النية المعينة التي اقنعت المؤلف بجعل اول فصل للكتاب عن (الوجودية والاسلام) ، وكأن المؤلف خاف من تهمة الرجعية فكانت اولى كلمة في الكتاب تقول : « ليست هذه كلمة رجعية » . ومن اول البحث تظهر الغيرة على مثاليات الشرق فيقول « فمن حق مثاليات اهل هذا الشرق ان تكشف عما في هذه الواردات من حق او زيف » . ثم ينجلي الخلط ، وتتجلى قيمة البحث كرد فلسفي فكري « اذا كانت الوجودية من المرونة بحيث يمكن ان تتسع لافكار كثيرة فانني استطيع في وضوح ان اقول «ان الاسلام دين يحقق الوجودية المثالية ؟! ص ٥

ثم يتحدث المؤلف عن (حقيقة الوجودية) فينفي عنها صفة (الفلسفة) اولا على اعتبار ان الفلسفة « لا بد ان تنتهي الى نتيجة ولكن الوجودية لا تنتهي الى شيء » ص ٩ ، وكأنه يتصور ان لكل فلسفة نتيجة هي مجموعة من الفرائض والوصاياوالمواعظ !! ثم يقول شيئا اعتقد انه مضحك « فما يصلح به فرد يصلح للمجموع الا في حالات شاذة نادرة قد تحتاج علاجا خاصا » ص ١٠ ، وذلك طبعا لان « الاديان تشير الى ان الله تعالى خلق الانسان على صورته » ص ١٠ ايضا . وعندما يتحدث عن الايمان الوجودي بالتجربة والمعاناة يصل به الحد الى تجهيل الوجودي بشكل لا يخطر على بال انسان « فهو لا يعترف بالنار لمجرد انه يشاهدها او لان الناس اسموها كذلك وخافوها بل لا بد له من ان يحترق بها كي يدرك ذلك » ص ١٥ ، وكأنه قد قدر للوجودي المسكين ان يعزل عن العالم والناس والتاريخ فلا يهتم بتجاربهم ومكتشفاتهم . ثم يبين جناية الوجودية على « المقدسات » فيقول « فالله سبحانه خلق الشيطان لا لتتجه اليه ولكن لتتجنبه » ص ٢٤ . وطبعا عليك ان تقتنع ان الروح العلمية تسود البحث سيما وهو يذكر المحاسن والمساوىء كما هي عادة العلماء « ومن محاسن الوجودية اليقظة التامة لدفع كل ذرة من ذرات الوجود الانساني لتنفيذ الهدف اذا كان الهدف ايجابيا » ثم يشكفيقول « ولو حدث هذا لكان لها محاسن اخرى منها تنمية الشخصيةالاستقلالية» ص ٣٠ . اما ما يردده المؤلف في كل صفحة فهو ان الوجودية صنو الانانية والانعزال والفناء في الذات حتى انه يقول في الصفحة ٣٤ «معنى هذا ان الوجودي لا يمكن ان يكون زوجا او ابا لان اتجاهات الحياة الزوجية او العائلية سوف تتعارض مع اتجاهاته الذاتية » . والمؤلف يفرض وصياته على البشر وينوي رسم طريق محدد للفكر الحديث (كالدوحميا) التي استعبدت القرون الوسطى ونشرت ظل (ارسطو)

صدر حديثا :

السنفونية الناقصة

مجموعة قصص

بقلم

صباح محيي الدين

دار الآداب - بيروت

على قرونها الطويلة « فهو لا يريد ان يعلم ـ الكلام عن الوجودي ـ بانه عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون » ، فلماذا تريد ان تعلم وتؤلف يا حضرة الاستاذ ؟! وكفى الناس شر القتال ما دام هنالك ما يسميه المؤلف « نظرية القضاء والقدر » . وبعد ذلك يقف المؤلف ندا لند امام المفكر العالمي (هيدجر) فيقول « نسير على حذر مع هيدجر فاذا استحق ان نصفق له فعلت ذلك كمسلم مخلص صادق غيور على الاصول المقدسة » .

وانا مرتاح الضمير ـ كما يقولون ـ عندما اقول ان المؤلف يضيع حتى في معاني التعابير والكلمات ، لانه يخلط خلطا مضحكا في كثير من الاحيان بحيث لا يفهم الا المعنى اللغوي العادي لبعض الكلمات ولا يهتم بمدلولاتها الفلسفية .. فكثيرا ما يعتبر الوجودية لا تفترق عن البحث في « موجودية » الانسان اي كونه موجودا !! وخاصة عندما يعتبر ان الاسطورة في التاريخ مجرد تخيلات اطفال فيقول عند التحدث عن الاسطورة الاغريقية (سيزيف) : « ولعل هذا دليل على عدم جدية الوجودية لان الاستشهاد بالخرافة هو نوع من الخرافة لانها لن تؤيد نظرية قائمة » ص ٧٤ ، وكان الاساطير عند الاغريق لا تمثل هواجس وارهاصات وروح حضارة عريقة جبارة ؟! ويحمل بعد ذلك حملة صليبية على انسان مسكين اسمه (انيس منصور) وكأن كل جريمته انه اصدر اخيرا كتابا عن الوجودية وانه يتعرض لها احيانا في كتاباته ، مما يدل على النية المبيتة للعمل على استعداء الناس على كل من يشذ عن الواضعات المتخثرة والتقاليد المحفوظة في العلب ويسعى لتنفس كافة الاجواء والصيد في كافة المناطق. وكما قلنا آنفا ، رغم مشيخة المؤلف كما يعترف هو ، نجد انه يتحدث سهوا بنفس معتقدات (جان كانابا) الماركسي « اننا نعيش في زمن تزداد فيه قوة الطبقات الصاعدة في تعاون يقوى ويشتد على مدى الايام ، ولا بد ان تجرف المخمورين بنشوة كاذبة بما يسمونه زيفا حرية الاختيار » ص ٨٤ ..وينهي المؤلف (اطروحته) بتشريح قصة (الغريب) لحائز جائزة نوبل لهذا العام (البير كامو) ، فيصور بطلها (مورسو) وفظاعة مجونه ولهوه عند وفاة والدته كشاهد على انحلال الوجوديين الذي قال فيه ما قاله مالك في الخمر !!

*

ان الوجودية عندما تقول ان الانسان حرية تستدعي مسؤولية وعندما تدعوه للالتزام لموقفه الخاص ولفداء التزامه ، لا يمكن ان تكون دعوة استهتار ولهو لااخلاقية .

وان الوجودية عندما تقول انه لا مفر من القلق والشعور باللامعنى والفراغ والضياع لا يمكن ان تكون متشائمة سوداء يائسة لمجرد ذلك ، لانها تحرض وتدعو للرد الانساني الصاهر للقلق والمفتش عن المعنى لكل شيء... ولا الحكم عليها معلق بالفهم للفداء الذي تطلبه في الرد الانساني الحر الذي يعطي ملامح الانسان الخاصة ونكهته الخاص لكل موقف يختاره. فلو كانت فلسفة تجد الجراة لان تقذف المواعظ والوصايا وتدعو للامبالاة واللااهتمام بالحياة لكانت كذلك ، ولكنها تطلب الموقف في كل حين ، وتطلب الرد ، وتطلب الاستجابة للتحديات .. تطلب الفعل امام اللافعل والانفعال، تطلب الحرية والمسؤلية امام التازم الذي نعيش ، وتعيش الامة ، ويعيش العصر ... فكيف تكون فلسفة حرية ومسؤولية وفلسفة موت وانهزام وتخاذل في آن معا ؟!

وان الوجودية عندما تقيم الانسان على عرس الوجود ومملكة الكون وتجعله المسؤول الاول ، وعندما تجعله خالق مثله واخلاقه ومواقفه لا يمكن ان تكون لا انسانية لا تقيم وزنا للانسان وتهدم انسانيته ؟! اللهم الا اذا فهمت ـ كما كان الامر مع صاحبنا ـ من انها صنو الانانية وفناء الفرد في انحرافاته النفسية لا غير !!

*

اذا كان يراد بهذه الحملات على كل فكر حديث عالمي ، وعلى الذين يحاولون توضيحه للمواطنين في هذه المرحلة الحرجة ، ارهاب وكبت هؤلاء الناس ... فليعلم اصحابها انهم الخاسرون الان ودائما . ولنا في التاريخ عبرة ، فكم من فكر ارهب وحورب فما ازداد الا اصرارا واقتناعا، وما كانت حملات التجهيل ومحاكم التفتيش لتجدي ان لم يجد البحث الرصين الهادىء..

وكل ما اتانا به المؤلف لا يهم بقدر ما يهمنا ما هو على جانب كبير من الخطورة وهو تزكية وزارة المعارف المصرية لمثل هذه الدراسة ومنحها جائزة يستغل المؤلف كتابه للاعلان عنها ولاقناع الناس بتبني هيئات رسمية لدراسات تنقصها الجدية اللازمة ... فما دامت الوزارة هيئة رسمية مسؤولة لا تمثل فردا او جماعة ، انما الشعب كله ، وما دامت وزارة (معارف) بالذات ، فاول ما يفرض فيها وهي القيمة على المعرفة ان لا تسخو على ما هب ودب من كلام الجرائد ... وانما ان لا تتعامل الا مع الدراسات الجديةالمثمرة ، وهو اول ما يفرض في رجالها . اما ان يتصرف في شؤونها طاقم من طرابيش السلطان عبد الحميد ومن ـ ربما ـ خريجي دار العلوم المصرية ... فهذا مما لا يليق بها ، خاصة والسيارة الحرة الجبارة للثورة التي انعكست داخلا وخارجا لا بد لها من ان تجد سندا دائما لمثلها وشعاراتها بتنظيف الاجهزة الحكومية واخطرها جهاز المعارف سيما في هذا الدور الذي تطلع علينا فيه في كل يوم دار مشبوهة للنشر .

الكويت — **فريد ابو عيطه**

اسطورة الادب الرفيع

تأليف الدكتور علي الوردي

مطبعة الرابطة ، بغداد ـ ٣٨٤

*

انها وأيم الحق تباشير نضج فكري تلمع في العراق الشقيق ، فهذه المحاكات وهذه المشادات التي يرويها لنا الدكتور علي الوردي في كتابه ان تدل على شيء فعلى نضال الوعي السليم في سبيل الظهور والتسامي نحو حقائق العقل والمفيد من العلم والادب . وكم نتمنى لو أن كل ادبائنا ومثقفينا يدرسون ويتفهمون تاريخنا وحاضرنا بمثل الاسلوب التحليلي الذي يكتب به الدكتور الوردي . ان قارئه يتلمس ثورة جامحة ورغبة شديدة بقلب ودرس كل ما يقوم عليه المجتمع من تقاليد ومفاهيم قديمة، سيان في التاريخ ، او في الادب ، او في الدين ونظام المجتمع ، او في السياسة والاقتصاد . والثورة في نفس الوردي ـ كما تظهر من خلال

كتاباته ـ هي مختمرة وذات جذور في نفسه وليست مجرد رد فعل لاستثارة ، او تحمس وقتي لفكرة ، او امر تعرض له في ظرف او وقت معين . فهو في كل ما يعرض لنا ، بمناسبة او غير مناسبة ، يعطينا آراء جديدة بأفكار اقل ما يقال فيها انها تدعو للدرس والاهتمام ، وهو بذلك يقوم برسالة علم الاجتماع خير قيام في بلادنا ، فنحن ، ان نكن بحاجة لشيء الان فنحن بحاجة لجرأة الفكر وصراحة الراي والمعتقد .

ولم يقصر الدكتور في حملته على ادب السلاطين الذي حملته لنا عصور الجواري والغلمان . وان لم اوافق الدكتور في كل آرائه بهذا الخصوص ، فهناك ناحية هامة اراني بحماس انطلق في تأييده بها .وهذه هي في رايي التخلص من عبودية التاريخ والاسلوب الفكري ، الجامد ، القديم : عبودية الماضي وكل ما يأتينا من الماضي ، من ادب مقيد وتقاليد اجتماعية واهية وأساليب في التحزب بغيضة ، والتغني بأمجاد غابرة يلهينا عن واقعنا الحاضر المرير .

ولكن سامح الله الدكتور الوردي ، فهو يتحامل ويقسو بحملته على قواعد اللغة ، وعلى الشعر وقواعد الشعر العربي . فهل يعتقد الدكتور ـ وهو المدقق بدراساته ـ ان من الممكن لفرد واحد ، في بلد عربي منفرد ان يفرض قواعد جديدة للغة العربية ، وان تعم هذه القواعد كامل انحاء العالم العربي ؟

هذا تساؤل على اعتبار ان هناك قواعد هامة وجذرية يجب ان تغير في اللغة العربية . ولكني انا من جهتي اخالف الدكتور بآرائه في قواعد اللغة . فهو يرى ان هذه القواعد وجدت ارضاء لاهواء بعض اللغويين ، ولكن ما يظهر لنا من القواعد الحاضرة هو انها وصلت لنا نتيجة لتطور طويل الامد وتبدل مستمر ارتكزت في نهايته على ماهيتها الحاضرة.ولنأخذ مثلا على ذلك الهمزة وقواعد كتابتها ، وهي قاعدة عسيرة في اللغة كما هو معلوم . اننا لا نستطيع تبديل أي قاعدة من قواعدها دون ان يحصل التباس في القراءة او المعنى . وان يكن ينوء الدكتور بحركة الحرف الاخير في الكلمة العربية ، هذه الحركة التي تخضع لقواعد عامة في التشكيل فماذا يمكن للانكليز ان يقولوا عن لفتهم الحية الحاضرة وهي لا تخضع حروفها الصوتية لاي قاعدة في اللفظ ، كما تعفى من اللفظ عدة حروف من الحروف الساكنة ؟

وكم من الوقت كذلك يلزم كذلك لدارس اللغة الفرنسية حتى يستطيع ان يكتبها بلا اخطاء املائية لكثرة ما فيها من حروف لا تخضع لقواعد بوجودها وتشكيلها بالضوابط اللفظية !!!

ولا ادري ما يقصد الدكتور بعلم البيان ، او علم المعاني كما يقول عنه ، فهو يتحامل عليه ايضا . ولا استطيع تعليل ذلك الا بأن الدكتور يريد النقد والثورة لكل ما يمر به . والا فهل يمكن للدكتور الوردي ان ينكر بأن لكل كلمة معنى خاصا يميزها عن الكلمة الاخرى ؟ نعم لا يمكن لاحد ان يقول بأن الكلمة هي جزء ثابت من الشيء الذي تعنيه ، حيث هي ليست بنفس الاثر في نفس كل السامعين على السواء ، كما ليست بنفس المعنى البياني عند كل من يتلفظ بها . فهي رمز لشيء ما وحين نعيب عليها تحديد رمزيتها نكون كمن يعيب على الشيء مرافقة ظله له . وكما ان الظل يتطاول ويتقاصر حسب مواجهته للنور كذلك رمزية الكلمة تتداني وتتباعد ببيانها حسب سبكها بالتعبير اللغوي المفيد . وان يكن يعيب فذلكة البيان والتصنع به فاني معه ، ولكن اذ نعيد بحث مشكلة كهذه نسيها عصرنا الحاضر ، عصر الصحافة ، نكون قد اثرنا جدلا ونقاشا لاجل الجدل والنقاش فقط .

والثورة الكبرى عند الدكتور تتجلى في نقمته على الشعر والشعراء، فهو يظهر في هذا المجال ناقما ، حاقدا يتخلى عن رصانته العلمية المتحررة احيانا ، فنراه وكأنه قد فقد كل حجة يرمي بها الشعراء فتابط القرآن يقارعهم به ويستشهد بالآيات التي نزلت بذمهم ، ولعل ذلك يعود لتأثير نقد الدكتور محي الدين فيه . ولست أدري ماذا يطلب من ابن البادية ان يتخذ من الفنون !!! فالشعر العربي هو تعبير صريح عن صفاء نفس البدوي واتزانها . وحين نعيب على الشعر القديم تواتر قوافيه على حرف اخير واحد نعيب على النفس الانسانية طريقتها الغريزية في تذوق انواع الفن . وحين نقابل القافية والوزن الشعري العربي بالقافية والوزن الشعري عند احدى اللغات الاجنبية نكون قد قابلنا بين ذوقي شعبين يعيشان في بيئتين مختلفتين كل الاختلاف بمؤثمراتهما الخارجية . ولولا الشعر واضطرار الشعراء الى التفتيش عن القوافي في اللغات العربية المختلفة قبل الاسلام لما وصلت لنا اللغة العربية كما هي الان غنية بمفرداتها ومرادفات الكلمات فيها .

ولعل ما يريد ان يعيبه الدكتور الوردي هو ليس الشعر ولا البيان ولا اللغة ونحوها وانما الاسراف بالاهتمام بهذه الشكليات السطحية .واني مع الدكتور في هذا ، فالامة التي وقف بها التاريخ وعجزت عن الابداع والتكوين هي التي تبتديء باجترار ماضيها والتلهي باللغة والقشور الاجتماعية السخيفة .

وان ما يلفت النظر لحماس المؤلف للاصلاح الاجتماعي هو حين يأتي على ذكر المرحوم السيد محسن الامين وكيف قاوم المغرضون وجهلة الشعب آراءه الاصلاحية في الدين وتقاليد الدين الرعناء . واني من ناحيتي اقدس ذكرى هذا المصلح الكبير وادعو كل من يود الخوض في غمار الاصلاح الديني من اخواننا الادباء ان يرجع الى تآليفه وآرائه في الدين كما ادعو لتشكيل لجنة تشرف على نشر اثاره وآرائه وذلك لما له من جميل الاثر وحسن الذكر والتقدير في نفس كل من عرفه من ابناء الشعب .

ولقد تضمن كتاب الدكتور الوردي مجموعة مقالات ومقتطفات نقدية لعدة ادباء غيره . ومجمل ما نستطيع قوله بها هو انها عصبية المزاج ، وكأنها كتبت بتأثير طبيعة رمضان (حسب التعبير المألوف) وما يلفت النظر فيها هو حتمية الدكتور محي الدين وطلبه للمبارزة اكثر من مرة للدكتور الوردي . وحيث لم تصلنا مقالاته من تصديره ، هو ، فليس لنا ان نناقشها وما نرجوه لهما هو التوفيق لما به خير الامة العربية وصلاحها.

يوسف الحوراني